# المستشرق الإيطالي لودفيكو دي فارتيما
# (الحاج يونس المصري) بين القاهرة ودمشق:
# قراءة في سِفْره الأول من رحلاته

**أ.د.إبراهيم بن محمد بن حمد المزيني**
أستاذ الدراسات الحضارية وتاريخ العلوم عند المسلمين
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

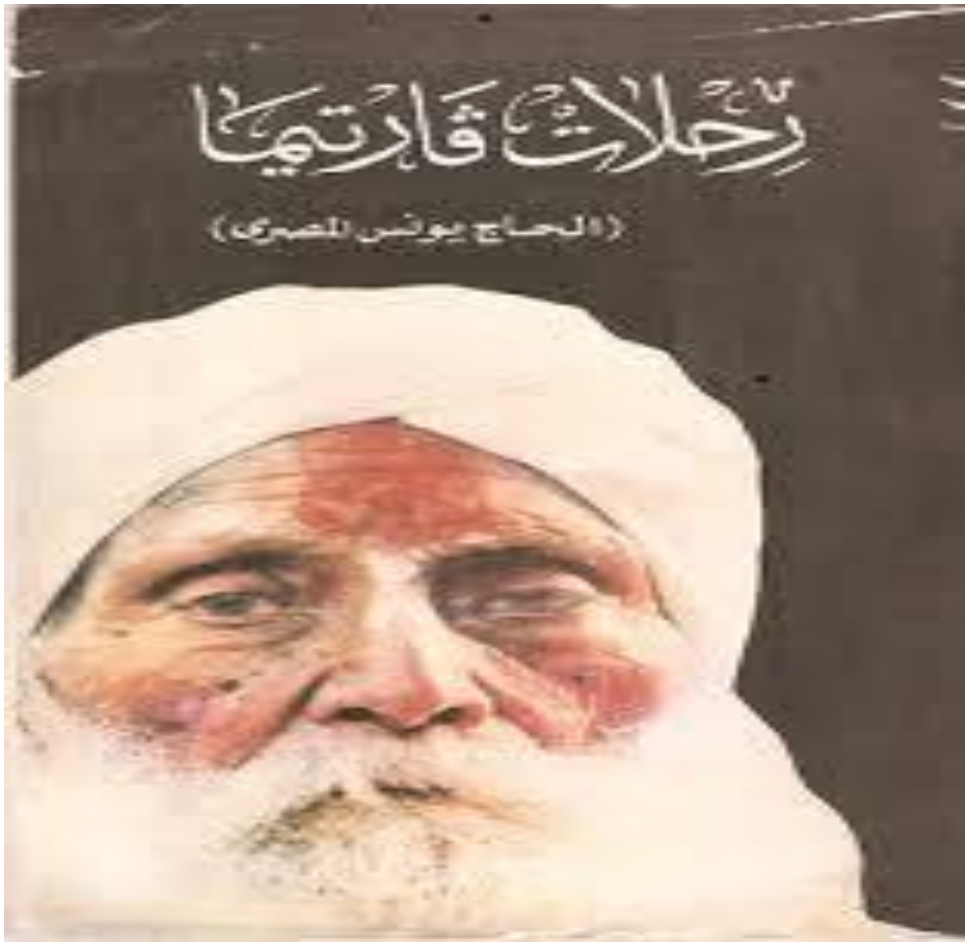

- **المقـــدمـــة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فأيها الحضور الكرام والحاضرات الكريمات السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وطيَّب الله أوقاتكم بكلّ خير.

يطيب لي أن أكون بينكم في هذا اللقاء العلمي المبارك، وفي رواق من أروقة العطاء العلمي والإثراء الفكري في عالمنا العربي، وتحديدًا في قاعة مؤتمرات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، حيث تلقى الأوراق العلمية للندوة السنوية لاتحاد المؤرخين العرب لهذا العام ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م تحت عنوان: (الوطن العربي في كتابات الرحالة والجغرافيين).

واسمحوا لي بدايةً أن أقدم رسالة شكر وعرفان بالجميل للقائمين على هذا الاتحاد والداعمين له، والمحضرين لهذا اللقاء العلمي السنوي. هي رسالة ممزوجة بوافر الثناء والدعاء على تفضلهم بعقد مثل هذه اللقاءات العلمية المتتابعة، التي تترك آثارها العلميّة على مختلف الأصعدة، ضمن رسالة اتحادنا المبارك.

وعلى بركة الله، أبدأ ورقتي هذه، وهي بعنوان: « المستشرق الإيطالي لودفيكو دي فارتيما (الحاج يونس المصري) بين القاهرة ودمشق: قراءة في سِفْره الأول من رحلاته».

وهذه الورقة التي أتقدّم بها لهذا المؤتمر هي محاولة لاستجلاء أبعاد السِفْر الأول من رحلة المستشرق والرحَّالة الإيطالي لودوفيكو دي فارتيما ( Ludovico Di Varthema) الذي جال في عديد من المدن العربية مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، ووثَّق مشاهداته وانطباعاته وملاحظاته في أسفاره الثمانية التي مثَّلت كتابه، بين القاهرة ودمشق قبيل رحلته إلى الجزيرة العربية، باعتباره من

أوائل الرحَّالة المستشرقين الذين دخلوا المدينة المنوَّرة ومكة المكرَّمة. وقد سبق أن أعددتُ دراسة منشورة عن السِفْر الثاني من رحلته بين دمشق ومكة المكرمة.(١)

وقصدتُ السِفْر الأول من رحلته باعتباره باكورة رحلاته وطريقه الحتمي لتحقيق عزمه ومبتغاه برحلته نحو مكة. وقد أسماها ملاحظات عابرةً؛ لأنها فعلاً عابرةٌ، لم يتوقف خلالها كثيرًا. ومع هذا فهي وقفاتٌ وملاحظاتٌ لا تخلو من فوائدها العلمية، ومؤشراتها التي تستحق رصدها هنا بما يناسب مقاصد البحث وأهدافه، وبما يليق بالمناسبة التي يُقدّم فيها.

سائلاً المولى القدير أن أوفَّق في إلقاء بعض الضوء على ما تستحقّه هذه الرحلة ضمن موضوعها المحدَّد، وأن يكون عملي هذا منطَلَقًا إلى مزيدٍ من الدراسات والأبحاث المتَّصلة بالموضوع بما يستحقه من طرح وتناول.

ولعله يناسب في مستهل هذه الدراسة أن أشير إلى أنه نظرًا لاتساع المادة العلمية التي يمكن أن تندرج ضمن هذا الموضوع، وحرصًا على حصر مادته بما يناسب الحال، ورغبة في تجنيبه الحشو والإطالة، فقد عمدتُ إلى عرضه وفق المحاور الأربعة الآتية:

---

(١) كان عنوان تلك الدراسة: «وصف مكة ومظاهر الحج في رحلة المستشرق الإيطالي لودفيكو دي فارتيما ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م» تمَّ عرضها في الملتقى العلمي الثامن عشر لأبحاث الحج والعمرة والزيارة لمعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة/ جامعة أم القرى – مكة المكرمة: ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م. وقد اعتمدت عليها هذه الدراسة كثيرًا فيما يتصل بمقدمات البحث وحياة فارتيما، والتعريف برحلته وكتابه، وتمَّ نشر ذلك البحث عبر الرابط التالي:

https://drive.uqu.edu.sa/_/hajj/files/multaqa/143918.pdf

▪ **المحور الأول**: **رحلات الأوربيين إلى بلاد العرب**: **البدايات والأهداف**:

وأشير بداية هنا إلى أنَّ اهتمام الغرب ببلاد العرب قد بدأ منذ القرن الخامس قبل الميلاد، في كتب هيرودوتس وثيوفرست تلميذ أرسطو، ولاحقًا في القرنين الأول والثاني للميلاد عند الجغرافي اليوناني سترابون، والمؤرخ الروماني بليني. بعد ذلك لم يضف الكثير على ما كتب آنذاك، حتى جاء القرن الخامس عشر الميلادي وبدأ تدفق الرحّالة الأوروبيين إلى الجزيرة العربية.(١)

وقد شهدت بلادنا العربية والإسلامية بعمومها، وعبر عصورها التاريخية، مجيء عدد من الرحالة الأوروبيين، تزامنًا مع بدايات ظهور الإمبراطوريات الغربية والصراع فيما بينها، بهدف احتلال أجزاء من العالم الإسلامي في أفريقيا وآسيا، والسيطرة على الممرات المائية الحيوية في البحر الأحمر والخليج العربي وجزر المحيط الهندي؛ بغرض تأمين الحاميات البحرية وقوافل التجارة. ومن تلك القوى البرتغاليّون والهولنديون والفرنسيون والبريطانيون.

وقد تنوعت أهداف هؤلاء الرحالة ودوافعهم، الذين وجدوا الدعم والتشجيع من دولهم. فمنهم من جاء لهدف تنصيري مكشوف. ومنهم من كانت رحلته لأغراض سياسية واقتصادية. ومنهم من جاء لأهداف علمية وحب للمغامرة والاكتشاف، ودراسة أحوالهم المعيشية والسياسية، فيستفيد من هذه الدراسات مختصون ينتمون إلى مجتمعات، متطورة تملك القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية تُقدَّم لهم بنظام التقارير.(٢)

---

(١) خالد الطويلي. الحج والحجاج في كتب المستشرقين. نُشر في مجلة المعرفة العدد (١٦٥) في: ١٤٢٩/١٢/٢٨هـ/ ٢٠٠٨/١٢/٢٦م. تمت الاستفادة في ١٤٤٠/١٢/٢٦هـ- ٢٠١٩/٨/٢٧م على الرابط التالي:
http://www.almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=350&Model=M&SubModel=138&ID=171&ShowAll=On

(٢) أغسطس رالي. مكة المكرمة في عيون رحّالة نصارى/ نقله إلى العربية حسن سعيد غزاله، راجعه وعلَّق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا.– الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، (١٤٣٠هـ).– ص ٢٥.

ولم يكن من الشائع أن يتحدث الرحالة عن الأسباب الحقيقية التي تدفعهم إلى ركوب مثل هذه المغامرات. ولذلك كان لا بدَّ من غطاء لمثل هذه الرحلات التي تهدف في الأغلب إلى جمع المعلومات ودراسة عادات الشعوب. ذلك أنه حينما نتحدث عن تلك الدوافع التي دفعت مجموعة من هؤلاء الرحالة إلى التوافد على بلاد مصر والشام دون الجزيرة العربية، خاصّة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين) فسنجد أنَّ معظمهم من رجال الدين النصارى الذين حرصوا على الحج إلى بيت المقدس، ثمَّ توجهوا إلى مصر، حيث المزارات المسيحية المشهورة، ولكن على الرغم من انطباق هذا الدافع على مجموعة منهم إلا إنه وُجد من بين هؤلاء الرحالة السياسي والعسكري والجغرافي والفنَّان، وغيرهم ممن تباينت دوافع رحلاتهم.

أما في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر الميلادي) فقد تركزت معظم رحلات الأوربيين على ما يمكن تسميته برحلات التجسّس ومهمات كتابة التقارير، الممهدة للاستعمار واستغلال خيرات هذه البلاد.(١)

وقد اهتمَّ الرحالة الغربيُّون – بدرجات متفاوتة بحسب ما يقتضيه تنفيذ أهداف كل منهم – بطوبوغرافية الأرض العربية ومظاهرها الطبيعية، فوصفوها ورسموا مسالكها ودروبها، وأحصوا قبائلها ومسالكها، وحققوا في قوة كل قبيلة وعلاقتها بالأخرى وبما يجاورها من قرى ومدن. وكان الاهتمام بكل ما يمسّ الإسلام من قريب أو بعيد، في القرى والحواضر وفي البادية أيضًا اهتمامًا شاملاً لم يغفل عنه أيّ منهم، مهما كانت هويته والأهداف التي ساقته. ويرتبط بهذا السياق ما يتصل بالرق وبالمرأة العربية التي شغل موضوعها كل رحالة غربي.(٢)

---

(١) إلهام ذهني. رؤية الرحالة الأوربيين لمصر بين النزعة الإنسانية والاستعمارية.– ط١.– القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.– (سلسلة التاريخ: الجانب الآخر: إعادة قراءة للتاريخ المصري).–ص ٩–١٠.

(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم. روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية.– ط١، بيروت: دار الساقي.– ٢٠١٣م.– ج١: ١٧.

لقد ارتحل هؤلاء الرحالة من كلّ العواصم وتحت كلّ الذرائع. كان بينهم من أوفدته الحكومات لدراسة طبيعة الأرض. وكان بينهم من أُرسل لدراسة القبائل. وكان بينهم من أُرسل فيما بعد لتقصي الإمكانات النفطية لاحقًا. وكان بينهم من أُرسل لأغراض سياسيَّة، وكان بينهم – بكل مباشرة – المعتمدون السياسيّون. وكان بينهم النساء اللواتي ذهبن منفردات إلى البادية. وكان بينهم من أرسل لإثارة الفتن. وكان بينهم الأبرياء. لكنهم جميعًا تركوا لنا شيئًا اسمه أدب الرحلات التي لها فوائدها التي لا تخفى.(١)

ذلك أنَّ لهؤلاء الرحّالة مشاهداتهم وجولاتهم التي سجلوا من خلالها انطباعاتهم التي لا تخفى من خلالها معتقداتهم، بما ترك أثره على ثقافتهم ونظرتهم للآخر. ومع هذا فإنها رحلات لا تخلو من وجود معلومات، يمكن أن يُستأنس بشيء منها عن الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية عن تلك المواقع التي وقفت عليها تلك الرحلات واعتنت بوصفها بما أكسبها قيمة علمية مناسبة، في تفاوت فيما بينها من حيث القيمة العلمية.

وكان نصيب مصر وبلاد الشام وافرًا عن طريق مجموعة من هؤلاء الرحالة الذين قصدوهما ومروا بهما، وربما مكثوا بعض الوقت، فقاموا بتسجيل مشاهداتهم ومعلومات رحلاتهم وآرائهم وانطباعاتهم، وربما ميولهم باختلاف دوافع رحلاتهم بما يستحق منا التوقف عند مجموعة من هذه الرحلات لتأملها ومناقشتها؛ إذ منها ما هو علمي اتسم في غالبه بالموضوعية والإنصاف، ومنهم صاحب التجارة المحايد. ومنهم ممتهن الجاسوسية الذي يقصر اهتمامه حول زوايًا محدَّدة انتدب من أجلها. ومنهم المتعصّب الذي يصدر أحكامه وفقًا لمنطلقه. وكلّ من هؤلاء ينطلق من منطلق ومحرك لرحلته.

ويحتفظ أدب الرحلات بمجموعة من هذه الأسماء الذين وفدوا إلى المنطقة العربية بمختلف ميلوهم وأهدافهم، يجتذبهم هدف عام يتصف بإرضاء رغبة الاستطلاع وإشباع فضول الاكتشاف لديهم.

---

(١) سمير عطا الله. قافلة الحبر: الرحالة الغربيّون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢ – ١٩٥٠م)، ط١.– الرياض: مكتبة العبيكان.– ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.– ص ٢٠.

وضمن أدب هذه الرحلات وأهدافها يسجل أسعد فارس رأيه بقوله: «إنَّ أدب الرحلات الغربي وآثار رحلاتهم يعدُّ امتدادًا لحركة الاستشراق والمستشرقين. والاستشراق بحد ذاته هو تراث الإمبراطوريات الغربية التي كانت وما تزال تحرص على دوام مصالحها في البلاد الأخرى. وحتى الرحلات العلمية ذات الطابع الاكاديمي كانت مرتبطة في السياسة أكثر من ارتباطها بالعلم والحضارة. ونادرًا ما حادت عن أهدافها السياسية بالإضافة إلى الأهداف العلمية».(١)

ولئن مثَّل المشرق العربي والجزيرة تحديدًا مصدر إلهام للعديد من الأدباء الأوربيين، فإنَّ الرحلة إليها كانت حلمًا تتوق نفس الأوربي إلى تحقيقه؛ نظرًا إلى ما نقل عن هذه المناطق من أخبار، نَسَجَ الخيالُ أغلبَها سواء بعد الحروب الصليبية أم من خلال بعض كتب الأدب والرحلات، أم من خلال ما تناقله التجّار والمغامرون من أخبار تداخل فيها الواقع مع الأسطورة. ومهما يكن من أمر، فإنَّ المشرق العربي بقيمته الاستراتيجية له تأثيره المباشر في السياسة والاقتصاد بين طرفي العالم شرقه وغربه، سيما في ظل هيمنة الإمبراطوريات الاستعمارية الكبرى وتنافسها على المنطقة. ومن هنا نفهم تعدّد أسباب هذه الرحلات وتنوع أهدافها بين الديني التنصيري، ومنها السياسي والاقتصادي، والعلمي أيضًا.(٢)

لقد كان الهدف الديني هو الغالب على رحَّالة القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بداية من رحالتنا (الرحالة الإيطالي لودوفيكو دي فارتيما) مبعوث الحكومة البرتغالية إلى كلّ من مصر والشام ثمَّ إلى الحجاز معلنًا إسلامه بما مكَّنه

(١) أسعد عيد الفارس. الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية، (دراسة ضمن سجل ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية)، ط١، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ، ص ٥٥٧.

(٢) محمد بن عبد الهادي الشيباني. أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية(دراسة ضمن سجل ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية)، ، ط١، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ، ص ٥١٥ . ٥٥٣.

من دخول المدينة ومكة مع الحجاج. ويمكن أن يندرج ضمن هذا الهدف البحَّار البرتغالي (قريقوريو داقودرا) الذي قدم إلى الحج برفقة أمير عدن سنة (١٥١٦م)، والذي كشف مقصده في رحلته. وعاد إلى البرتغال سنة ١٥٢٠م ليلحق بدير من الأديرة هناك.(١)

وما صرّح به (بيتربنت) في كتابه (رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب) يرسّخ مجموع هذه الأهداف حينما قال: «إن الأشخاص الذين ذكرناهم كانوا العيون والآذان التي استطاع الغرب الحصول بها على المعلومات عن بلاد العرب وشعبها، فنحن نرسل الكشّافين، ونبني الصّور عن الطريقة التي تسير بها الأمور، ونستعين بالتقارير التي يجلبونها لنا، وحين تتكون لدينا مثل هذه الصور فمن الصعب تغييرها».(٢)

ومثل هذه الشهادة تؤكد تلك الأهداف السياسية والاقتصادية لعديد من رحلات الأوربيين الى المنطقة العربية حين اشتد صراع تلك القوى وتنافسها على مصالح المنطقة.

ومهما يكن من أمر هذه الرحلات وتفاوت أهدافها ومقاصدها وغاياتها، إلا إننا لا ننكر تلك القيمة التاريخية للنصوص والمشاهدات التي سجلوها ضمن رحلاتهم، والتي يمكن أن نستخلص منها مجموعة من الفوائد والمعارف والمعلومات. وهي مجالات خصبة للدراسة والتحقيق والتمحيص، لما تحويه رحلاتهم من معلومات، تختلط فيها الانطباعات بالعواطف والميول بتخالط المعتقدات. فكان لزامًا الالتفات لهذا النتاج؛ ليكون ضمن مصادر دراسة بلادنا العربية، بما حوته من مواد علمية رغم تفاوت قيمها.

---

(١) عبد الرزاق بن حبيب الحمامي. المدينة المنورة والرحالة الأوربيون (دراسة نماذج)، ط١، المدينة المنورة: سلسلة إصدارات كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م)، ص ١٣ . ١٤.

(٢) عبد الرزاق بن حبيب الحمامي. المدينة المنورة والرحالة الأوربيون، ص ١٤ . ١٥.

ولعل اختياري للرحَّالة الإيطالي لودوفيكو دي فارتيما بتفاصيلها أنموذجًا لهؤلاء الرحالة ستكشف لنا مثل هذه المقاصد وغيرها، وبخاصة بما يتصل بانطباعاته عن أحوال المسلمين الدينية والاجتماعية، وكذا أحوال النصارى في البلاد التي مرَّ بها.

- **المحور الثاني**: **حيـــاة لودوفيكو فارتيما**:

مهمٌ أن أشير هنا إلى أنه على الرغم من أهمية هذه الرحلة التي دوّنها الرحالة الإيطالي لودوفيكو دي فارتيما (الحاج يونس المصري) إلا إننا لا نكاد نعرف عن حياته سوى النزر اليسير؛ إذ إنَّ المعلومات المتوافرة عنه قليلة ونادرة، وخاصة عن بدايات حياته الأولى كالولادة والنشأة. فمصادر التراجم الأجنبية والعربية لم تحدد لنا بدقة مكان ولادته وسنتها، سوى ما ذُكر في الموسوعة البريطانية من ترجيح سنة مولده بين سنتي ١٤٦٥ ـ ١٤٧٠م الموافق (٨٦٩ . ٨٧٤ هـ).[١]

وهو ما أكده المستشرق الإنجليزي بيرسي بادجر «Badger»[٢] من أنه لا يعرف عن حياة فارتيما سوى القليل. ومن خلال اطلاعه على المراجع الإنجليزية والإيطالية والفرنسية التي يحتمل وجود شيء فيها عنه، وأوضح أنَّه لم يجد فيها شيئًا يذكر. وقد بيَّن بادجر أنَّه لم يجد في موسوعة التراجم العالمية في القديم والحديث، المطبوعة في

---

(١) Encyclopedia Britannica , Micropaedia , Vol. 12, Art: Vartema , Lodovico do نقلاً عن عبدالرحمن عبدالله الشيخ، «لودوفيكو دي فارتيما، الحاج يونس المصري الرحالة الإيطالي والعميل البرتغالي ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ١٥٠٣م»، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع، الآداب(٢)،١٤١٢ هـ(١٩٩٢م)، ص ٥٦٥.

(٢) هو: المستشرق بادجر جورج برسي ولد سنة ١٨١٥م. وتلقى العلم في معهد جمعية المرسلين في ايسلنجتون بلندن وقضى شطرًا من شبابه في مالطة، وقد زار الجزيرة العربية، وعين مرشداً دينياً لمنشأة بمباي التابعة لشركة شرقي الهند، ومرشدًا لجيش السير جميس أوترام، وقد أوفد إلى زنجبار. كانت وفاته سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م). (نجيب العقيقي. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، ط٤، القاهرة: دار المعارف،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج٢،ص٥٨).

باريس سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٧م)، إلا نصًا قصيرًا عن فارتيما لم يستوضح منه سوى أنه رحالة إيطالي قام برحلته في القرن السادس عشر الميلادي الموافق للقرن العاشر الهجري دون تحديد السنة. وقد تعجب بادجر من أنَّ المراجع التي كتبها المؤلفون الإيطاليون أغفلت ذكر فارتيما رغم أهميته. وأعطى لذلك أمثلة منها المؤلف الإيطالي زورلا «Zurla»، حيث إنَّه لم يذكر فارتيما ضمن أشهر الرحالة الإيطاليين في كتابه الذي نشر في البندقية سنة ١٢٣٣هـ(١٨١٨م). أما المؤرخ الإيطالي فانتوزي «Fantuzzi» فلم يتعرض لفارتيما إلا من خلال أسطر قلائل، شكا في مطلعها من قلة المعلومات عنه، وأنهاها بالتشكيك في عودته إلى إيطاليا.(١)

ويعلّل مترجم رحلته إلى للغة العربية من اللغة الإنجليزية عبدالرحمن الشيخ ذلك بقوله: «إنَّ فارتيما لم يكن فيه من إيطاليا سوى أنها موضع مولده، ومصدر لغته، أما فيما عدا ذلك فالرجل كان يعمل لحساب ملك البرتغال، الذي موّل رحلته، والذي قدّم له نائبه في الهند براءة الامتياز والفروسية، وضمه لجيوشه المحاربة أحيانًا. لذلك فبعض المصادر تشير إلى أنه رحّالة برتغالي، تمامًا مثل كولومبس الذي تعارف الناس أنه رحالة إسباني مع أنه من أصول إيطالية».(٢)

ويضيف عبدالرحمن الشيخ قائلاً: «إنَّ إهمال المؤرخين الإيطاليين لفارتيما عند حديثهم عن رجالات وطنهم ليس أمرًا مستغربًا، فالرجل يكاد يكون غير إيطالي، حيث عرف بأنَّه برتغالي. ولعل ولاءه الشديد لملك البرتغال كان واضحًا في معظم صفحات رحلته. ولذا نجد أنَّ المؤرخ جون ونتر جونز "John Winter Jones" الذي قام بالترجمة الكاملة لرحلات فارتيما إلى اللغة الإنجليزية قد أورد في أثناء سرده لطبعات

(١) فارتيما، لودوفيكو دي. رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)/ ترجمة وتعليق عبدالرحمن عبدالله الشيخ.– القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.– ص ١٠.

(٢) رحلات فارتيما.– ص ١٠.

رحلة فارتيما باللغات المختلفة عنوان كتاب فرنسي نشر سنة ٩٦٣هـ( ١٥٥٦م)، شمل جانبًا من رحلة فارتيما، أدرج ضمن مجموعة رحلات الرحالة البرتغاليين. وكان عنوان ذلك الكتاب كما أورده جون ونتر جونز هو (وصف أفريقيا، ثالث أجزاء العالم). والجزء الثاني كان عن رحلات الرحالة البرتغاليين وأدرج فارتيما معهم.(١)

كما يضيف عبدالرحمن الشيخ أنه مع كل هذا الغموض الذي يحيط بحياة رحالتنا، فهناك إجماع على أنه ولد في بولونيا «Bologna» بإيطاليا، وأنه رحل منها إلى البندقية، وأنه ذكر هو في رحلته أنَّ والده كان طبيبًا. ويميل بادجر أنه كان عسكريًا؛ لاهتمامه الكبير في رحلته بوصف الأسلحة والتجمعات العسكرية، كما نعلم من حديثه أنه كان زوجًا وأبًا.(٢)

ومع هذا التأكيد لمترجم الرحلة عن أصله البولوني، إلا إنَّ عبدالعزيز عبدالغني في تناوله لحياة فارتيما ضمن كتابه يُشكك في نسبته لبولونيا بقوله: «والرجل – في ما تقول العديد من مراجعنا – مجهول الأصل يرده البعض إلى روما، ويرده آخرون إلى بولونيا. والأرجح عندنا أنه من مواطني مدينة روما. أما ادّعاء الأصل البولوني، فنردّه إلى أنه حين تنكر في زيّ المسلمين وادعى أنه مسلم ليدخل مكة، كان عليه أن ينتمي إلى بعض مناطق شرق أوروبا مثل بولونيا التي كانت من المراكز المعروفة بإسلامها، وذلك حتى لا ينكشف أمره».(٣)

ولندرة المعلومات عن فارتيما أصلاً، فإنه لا توجد مؤلفات أخرى لفارتيما سوى رحلات فارتيما هذه المشهورة باسمه، بل إنَّه يوجد غموضٌ حتى في نهاية حياته.

---

(١) عبدالرحمن عبدالله الشيخ، «لودوفيكو دي فارتيما، الحاج يونس المصري» مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع، ص ٥٥٩.

(٢) رحلات فارتيما.– ص ١٠.

(٣) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم. روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية.– ج١: ٧٤.

وليس هناك معلومات سوى ما أفادت به الموسوعة البريطانية التي حددت سنة وفاته في عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م)، دون تحديد المكان الذي توفي فيه.(١)

ويشير روبن بدول بأنَّه قد يكون قُتل بعد عودته لإيطاليا؛ بسبب طموحاته الكبيرة أكبر من مستواه، على حد قوله حيث قال: «لقد رجع فارتيما إلى روما في شتاء ٩١٣ -٩١٤هـ(١٥٠٨م – ١٥٠٩م) وظهر كتابه هناك. وقد أهداه إلى دوقة إيطاليا. وبعد ذلك لم نسمع عنه شيئًا. وربما يكون قد قتل؛ بسبب طموحاته إلى مستوى أعلى من مستواه».(٢) ولذلك لم يكن لنا مصادر نستفيد منها عن فارتيما سوى رحلته وبعض من المعلومات النادرة التي ذكرها عنه بعض الباحثين المحدثين.

إنَّ الرحلة التي قام بها فارتيما هي رحلةٌ طويلة حول العالم، استمرت ما يقارب ست سنوات، قدَّم فيها نفسه لأهل الحجاز واليمن وسكان الخليج العربي وبلاد فارس، باعتباره (الحاج يونس المصري أو يونس المملوك المصري). أمَّا في بلاد الهند فقد قدَّم نفسه باعتباره (الحاج يونس العجمي/ الفارسي)، وذلك بمعاونة صديق له فارسي كان قد تعرّف به في مكة المكرمة.(٣)

- **المحور الثالث**: **التعريف برحلته وكتابه**:

وضمن هذا المحور أشير إلى أنَّ الرحالة لودوفيكو دي فارتيما الذي جال في كثير من بلاد العرب والمسلمين مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وهي المرحلة التي كانت تواجه فيه دولة المماليك عدة تحديات خارجية

---

(١) Encyclopedia Britannica , Micropaedia , Vol. 12, Art: Vartema , . Lodovico do نقلاً من عبدالرحمن الشيخ، لودوفيكو دي فارتيما "الحاج يونس المصري " مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع، ص ٥٦٥.

(٢) روبن بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة: د. عبدالله آدم نصيف، د.ط، الرياض: مطبعة جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م)، ص٢٥.

(٣) فارتيما. رحلات فارتيما، ص٩، مقدمة المحقق.

خطيرة، بما فيها التحدي البرتغالي في البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي. وتسبب هذا الخطر البرتغالي مع اكتشاف رأس الرجاء الصالح في تأثر التجارة المملوكية، ومن ثم ترنح الاقتصاد المملوكي. وهي تكشف مدى الاستعلاء الذي كان يميّز النظرة الغربية في تلك المرحلة. ولعل ذاك عائدٌ إلى ظهور فكرة القومية البرتغالية في ذلك الحين، وأثر الصراع البرتغالي/الإسباني ضد المسلمين، وأثره على العالم الإسلامي. ذلك أنه على الرغم من جنسية فارتيما الإيطالية إلا أنه كان يعمل لحساب ملك البرتغال، لذلك فإن بعض المصادر تشير إليه على أنه رحالة برتغالي، تماماً مثل كولمبس الذي تعارف الناس أنه رحالة إسباني مع أنه من أصول إيطالية.

**وهنا أشير إلى رحلة فارتيما بالتحدث عن دوافعها، وتاريخها وفق الآتي:**

أما دوافع الرحلة، ووفقًا لما سجله ضمن تفصيلات الرحلة ومضامينها، فإنَّ الهدف الأساس منها هو تجسسه لحساب البرتغال، في العصر الذي بدأت فيه دولة البرتغال محاولات التوسع والسيطرة على بقاع عدة في العالم وخاصة الإسلامي منه.

وأضاف عبدالرحمن الشيخ مترجم الرحلة للعربية بأنَّ رحلة فارتيما هي الجناح البري لجهود البرتغاليين في اكتشاف الطرق المؤدية إلى ثروات الشرق عامّة، وجهودهم كذلك في تطويق العالم الإسلامي، استمرارًا لما كانوا يسمونه حرب الاسترداد، وأنها تزامن رحلة فاسكو دي جاما البحرية. وكما نجح الأخير في كشف طريق رأس الرجاء الصالح فقد نجح فارتيما في كشف الطريق من أوروبا حتى الهند برًا مرورًا بحواضر المسلمين الكبرى وهو عمل شديد الخطورة، مهد لخطوات استعمارية تركت أثراً بعيد المدى في تاريخ العالم الإسلامي أجمع.(١)

وأجدني أوافق عبدالعزيز عبد الغني تمامًا في إشارته إلى أنَّ البرتغال قد عمدت بعد طرد المسلمين من الأندلس إلى إرسال الرحَّالة في إثرهم لدراسة مسالك الشرق؛

(١) رحلات فارتيما.– ص ٩.

للعمل على دقّ عصب الاقتصاد الإسلامي القائم على التبادل التجاري، والعمل على السيطرة على تلك الدروب واستغلالها لاستنزاف مصادر ذلك الاقتصاد وتحويله؛ ليصبَّ في مصلحة اقتصاداتهم.(١)

ويناقش عبدالرحمن الشيخ في مقدمة ترجمته للرحلة تلك الظروف التاريخية التي تمت خلالها الرحلة فيقول: «أما عن الظروف التاريخية التي تمت خلالها الرحلة، فمعرفتها من الأمور الضرورية، لفهم هذه الرحلة والاستمتاع بها في آن. لقد كان لا بد لأوروبا في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر أن تعيد تقويم معارفها عن العالم الإسلامي، وأن تعيد ترتيب أوراقها لمواجهته بأساليب جديدة قوامها العلم والمعرفة. بالإضافة إلى أسباب عملية ملحّة تلحّ على الأوربيين، لتعميق معرفتهم بالنظم السائدة في العالم الإسلامي خاصة. فالتاريخ الأوربي الحديث –كما يذكر لورد أكتون (Acton) – يبدأ تحت مطارق العثمانيين المسلمين. فالدور الإسلامي في تشكيل التاريخ الأوروبي لم ينته بنهاية العصور الوسيطة، وإنما استمر فاعلاً مؤثرًا في التاريخ الحديث. فقد أسهم المسلمون في تشكيل التاريخ الأوروبي – في أوروبا ذاتها– بقدر قريب من إسهام الأوروبيين في تشكيل تاريخنا الحديث».(٢)

ويواصل عبدالرحمن الشيخ حديثه عن القرصنة في البحر الأبيض المتوسط التي ظهرت بعض سقوط غرناطة، ويناقشن تأثيرها على اقتصاديات بعض الدول الأوربية مثل إيطاليا وأسبانيا والبرتغال. كما يبين الشيخ أنَّ فارتيما كان يقسّم المسلمين إلى مسلمين ومماليك. ويعني بالمماليك هؤلاء البيض الذين تحولوا إلى دين الإسلام. ويعزي الشيخ ذلك إلى تعصّب فارتيما وثقافته. كما يتحدث الشيخ عن تغلغل المسلمين

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم. روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية.– ج١: ٢١.

(٢) فارتيما، رحلات فارتيما، ص١٠–١١.

العثمانيين في عمق القارة الأوربية، ويبين أنَّ المسلمين واليهود الذين طُردوا من الأندلس وجدوا ملاذًا آمنًا لدى الدولة العثمانية.(١)

وفي عدن اتهم فارتيما صراحة بالتجسس لصالح البرتغاليين. وذلك يوضحه النص الآتي: «وفي اليوم الثالث بعد القبض علينا أقبل أربعون أو ستون شخصًا من المسلمين – كان البرتغاليون قد استولوا على سفنهم – يهرولون نحو القصر. وكان المهرولون قد هربوا من قبضة البرتغاليين بأن وصلوا سباحة إلى قرب الشاطئ. وقد ذكر هؤلاء الناجون أننا قدمنا إلى عدن كجواسيس، وبسبب ذلك أقبلوا نحو القصر وهم في حالة هياج هائل، وأسلحتهم في أيديهم – لقتلنا – ولكن الحراس أسرعوا بإغلاق الأبواب».(٢)

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا ومتواترة في رحلته إلى الهند وغيرها من البلاد الإسلامية. والدليل الأقوى على أنَّ فارتيما كان يعمل لحساب البرتغال أنَّه قَدَّم في نهاية رحلته تقريرًا كاملاً عن هذه الرحلة وما جرى فيها إلى ملك البرتغال. وقد أبقاه ملك البرتغال في بلاطه أيامًا عدة. وقد سجّل هو نفسه ذلك حينما وصل لشبونة في النص الآتي: «وعندما وصلت إليها ذهبت لتقبيل يد عظمته الذي أحاطني برعاية فائقة منه، واستبقاني عدة أيام في بلاطه ليسمع مني عن أمور الهند. وبعد بضعة أيام أظهرت له براءة وثيقة الفروسية التي منحني إياها نائب الملك (نائبه) في الهند، متوسلاً إليه . إذا رغب . أن يعتمدها، ويوقعها بيده ويختمها بختمه. وعندما رآها ذكر لي أنه يسعده ذلك، وتناول مني الوثيقة التي خطت على الجلد الرقيق (رق Parchment) ووقع عليها بيده ووضع عليها ختمه. وتمّ تسجيلها. ومن ثمَّ استأذنت عظمته في الرحيل، ووصلت إلى مدينة روما».(٣)

---

(١) فارتيما، رحلات فارتيما، ص ١١.

(٢) فارتيما، رحلات فارتيما، ص٦٨.

(٣) فارتيما، رحلات فارتيما، ص٢١٤.

وقد أُصدر كتابه الذي يعد الوحيد من نوعه المكتوب بلغة أوروبية عن الجزيرة العربية آنذاك. وطبع كتابه بالإيطالية في روما عام ١٥١٠م و ١٥١٧م، (٩١٥ و ٥٢٢هـ) وفي البندقية عام ١٥١٨م و ١٥٣٥م (٥٢٣ و ٩٤١هـ)، وفي عام ١٥٦٣م (٩٧٠هـ). وجاءت أول ترجمة للإنجليزية عام ١٥٧٦ . ١٥٧٧م (٩٨٤هـ) في تاريخ الرحلات لريتشارد إيدن. وظهرت مقتطفات من كتابه في كتاب بورتشاس "رحلة الحج" عام ١٦٢٥. ١٦٢٦م (١٠٣٥هـ) وفي نسخة "جمعية هاكلوت" للكاتب جي دبليو جونز وجي بي بادجر عام ١٨٦٣م (١٢٧٩هـ).[١]

وظل هذا الكتاب هو الوحيد في أوروبا حتى عام ١٧٠٤م (١١١٥هـ) حين نشر الرحالة الإنجليزي جوزيف بتس (الحاج يوسف) كتابه (رحلة جوزيف بتس الحاج يوسف إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة).

- **المحور الرابع**: **مسار الرحلة وأحداثها**:

ويمكن أن أبسط الحديث في هذا المحور حول مسار هذه الرحلة وأحداثها في أقسام تتابعية ثلاثة على النحو الآتي:

- **القسم الأول: بين الإسكندرية والقاهرة:**

في مبتدأ حديثه في هذا السِفْر يبسط فارتيما في سطوره الأولى من رحلته ذلك الدافع الذي دفعه للارتحال إلى ما أسماه (ممالك العالم المختلفة)، فيقول: «إنَّ الرغبة التي دفعت الآخرين لمشاهدة ممالك العالم المختلفة هي نفسها التي دفعتني للقيام برحلاتي هذه. ولما كانت كل البلدان مطروقة على نحو كبير بالنسبة لشعبنا. فقد فكرت في أنه يجب على أن أرى البلاد التي لم يرها أهل البندقية، أو لم يترددوا عليها

(١) ريغينالد هيو كيرنان. كشف اللثام عن جزيرة العرب: قصة الترحال والكشوف في أنحاء الجزيرة، ترجمة بشر العظمة، تحرير وتعليق: أحمد إيبش، ط١. . أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، ١٤٣٣هـ (٢٠١٢م)، ص ٧٩.

كثيرًا. ولذا نشرنا أشرعتنا في يوم ذي ريح مواتية، طالبين من الله المساعدة، وأسلمنا أنفسنا للبحر. وعندما وصلنا للإسكندرية، إحدى مدن (موانئ) مصر، تطلعت لكل جديد. وكنت كظمآن طال انتظاره للماء العذب. وسرعان ما غادرت الإسكندرية فهي معروفة للجميع. وعن طريق النيل اتخذت سبيلي للقاهرة».(١)

**القاهرة:**

ثمَّ يواصل حديثه بعد وصوله للقاهرة بما خالف توقعه، وما وصل إليه من تقارير عن مساحة القاهرة رغم إشادته بكثرة مساكنها مقارنة بروما، فيقول: «عند وصولي للقاهرة وجدتها ليست كبيرة جدًا كما أخبرتنا التقارير عنها قبل ذلك، إخبارًا كان يثير دهشتنا. فمحيط القاهرة يساوي تقريبًا محيط روما. إلا إنها على أية حال تضم مساكن أكثر بكثير من روما، كما إنَّ سكانها أكثر عددًا. ومنشأ الخطأ هو وجود قرى صغيرة مختلفة خارج أسوار القاهرة، مما جعل بعض الناس يظنها ضمن دائرة القاهرة ذاتها. ولا يمكن أن يكون الأمر كذلك على أية حال؛ لأن هذه القرى الصغيرة تبعد حوالي ميلين أو ثلاثة، كما إنها تمثل قرى منفصلة».(٢)

ويعلّق محقق رحلته على هذا الظن بقوله: «اعتبر فارتيما القاهرة هي تلك الحدود الداخلة في حدود السور، لكنه لم يحدد لنا أي سور يقصد. ويذكر بادجر في تعليقه على هذه الأفكار التي أوردها فارتيما أنَّ الأوربيين يخلطون الأمر، فيعتبرون مصر العتيقة (حي مصر القديمة أو العتيقة الآن) هي القاهرة الأصلية. وقد يقصد فارتيما بالقرى المنفصلة هنا، حي بولاق الكبير. وإن كان هذا ما يقصده فإنه – أي حي بولاق – داخل في زمام القاهرة».(٣)

---

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٣.

(٢) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٣.

(٣) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٣. هامش (٢) للمحقق.

بعد هذا التحديد المساحي يتحدث فارتيما عن سكان مصر ومن يحكمها في زمن رحلته، فيقول: «ولن أتحدث طويلاً عن عقائد المصريين وعاداتهم، فكل الناس يعرفون أن مصر يقطنها المسلمون Moors والمماليك، ويحكم مصر السلطان الكبير، الذي يخدمه المماليك. والمماليك بدورهم سادة (حكام) للمسلمين (العرب) Moors».[١]

وهنا وقفة تعليق أوردها محقق الرحلة على إطلاق فارتيما لاصطلاح (Moors) على المسلمين، فذكر أنَّ الأوربيين الذين تطلُّ بلادهم على البحر المتوسط (جنوب أوروبا عامة) أطلقوا لفظ البربر (Moors) على العرب والمسلمين بشكل عام. وأرجع ذلك إلى قيام سكان شمال أفريقيا والمسلمين المطرودين من الأندلس بالمطالبة بحقوقهم التي سُلبت منهم. ولما كان هؤلاء بربرًا مسلمين أطلق أهل أوروبا على كل المسلمين لفظ (بربر) من باب إطلاق اسم الجزء على الكل.[٢]

واعتذر في نهاية حديثه عن القاهرة عن عدم توسعه في الحديث عن ثراء القاهرة وجمالها وسلاطينها؛ بحجة أنه أمرٌ معروفٌ لأهل بلده ولا يخفى عليهم.[٣]

ومثل هذا التصريح يؤكد على اهتمام الغرب ببلاد العرب والمسلمين، ومتابعتهم لأخبارها وأحوالها عن طريق التقارير التي تُقدَّم لهم بصفة مستمرة، كما صرَّح بذلك فارتيما نفسه في مستهل حديثه عن مشاهداته في القاهرة.

- **القسم الثاني: بين القاهرة ودمشق:**

وبعد فراغه من الحديث عن القاهرة وضع فارتيما عنوانًا عن رحلته إلى بيروت وطرابلس وحلب استهله بقوله: «لقد أبحرت الى سوريا، ورسوت إلى ما رسوت في

---

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٣–٢٤.

(٢) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٤. هامش (٣) للمحقق.

(٣) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٤.

بيروت بعد مسافة استغرقت ٥٠٠ ميل. ومكثت فيها بضع أيام. وهي مدينة مزدحمة جدًا بالسكان المسلمين. وتزخر بالبضائع المختلفة، ويضرب البحر أمواجه في سورها، وإن كان عليك أن تعرف أنَّ منطقة بيروت ليست محاطة إحاطة كاملة بالأسوار، وإنما في بعض أجزائها فقط، وبالتحديد من ناحية الغرب ومن ناحية البحر».(١)

ولم يُحدّد فارتيما زمن وصوله إلى بيروت ولا مقامه فيها، ولم يتوسّع في وصفها؛ لأنها يبدو لم تأت ضمن اهتماماته. فمروره فيها عابرًا فقط. بل لم يلفت نظره فيها سوى مبنى مندثر تحاك حوله بعض الأساطير التي أخبر عنها بقوله: «ولم أر في بيروت ما يستحق ان أسجله خلا مبنى قديم يقولون إنه كانت تسكنه ابنة الملك، عندما أراد التنين the dragon افتراسها، فقتله القديس جورج St. George. وهذا المبنى القديم مخرب تمامًا».(٢)

ويواصل فارتيما حديثه عن رحلته بقوله: «وقد غادرت بيروت متخذًا طريقي إلى طرابلس Tripoli في سوريا التي تستغرق الرحلة إليها من بيروت يومين صوب الشرق».(٣) (وتبلغ قرابة ٨٥ كم).

ويواصل فارتيما وصفه لطرابلس بقوله: «وطرابلس تتبع سلطان الكبير (في القاهرة) وكل سكانها من المسلمين. وتضم طرابلس من كل شيء (مختلف البضائع)».(٤)

ثمَّ يصف رحلته إلى حلب، وحال حلب في زمنه فيقول: «وقد غادرتها– يعني طرابلس– متجهًا الى حلب في رحلة برية استغرقت ثمانية أيام (وهي الآن تبلغ ٢٨٥ كم). وهي مدينة جميلة، وتخضع لسلطان القاهرة.(٥) وسكانها مسلمون. وهي سوق

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٤.
(٢) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٤–٢٥.
(٣) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٥.
(٤) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٥.
(٥) ويقصد هنا الملك الأشرف أبا النصر قانصوه الغوري ( ٩٠٦– ٩٢٢هـ/ ١٥٠١– ١٥١٦م).

لتركيا وسوريا. وهي ممر عظيم للبضائع خاصَّة الفارسية التي تصل إلى هنا. وتعتبر حلب هي الطريق المؤدي إلى تركيا وسوريا بالنسبة لأولئك القادمين من بلاد العجم «Azemia».(١)

ويواصل فارتيما وصفه لرحلته بعنوان جانبي أسماه (حماة ومنين Menin) بقوله: «وقد غادرت حلب متجهًا إلى دمشق في رحلة استغرقت عشرة أيام. وفي منتصف الطريق كانت توجد مدينة حماة، تنمو بها كميات كبيرة من القطن وفواكه طيبة جدًا. وبالقرب من دمشق، وعلى بعد ستة عشر ميلاً وجدت منطقة أخرى هي منين Menin، (٢) تقع على قمة الجبل، ويسكنها مسيحيون تابعون للكنيسة اليونانية وهم التابعون لسيد (حاكم) دمشق. وتوجد بها كنيستان جميلتان جدًا، يقال إنَّ هيلينا، أم قسطنطين، هي التي أنشأتهما. وتنمو الفاكهة الممتازة هنا، وخاصة العنب. كما توجد بساتين رائعة وينابيع. ولقد غادرت هذا الموضع متجها الى المدينة الشهيرة دمشق».(٣)

---

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٥. ويعلّق المحقق على هذه التسمية (Azemia) بأنَّ بادجر يذكر أنَّ الإيطاليين يستخدمون الحرف Z بدلاً من الحرف J. لذا ففارتيما يقصد بالعزَم (Azem) العجم، ثم جمع الكلمة على النسق الإيطالي فصارت (Azemia). وقد وجدنا هذه الطريقة في الكتابة في أكثر من موضع في رحلته، فهو يكتب جدة (Zida) زدا، أي أنه أحلَّ Z محل J.

(٢) ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان بأنها قرية في جبل سنير من أعمال الشام، وقيل من أعمال دمشق، ونسب إليها جمعًا من العلماء. (شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م. معجم البلدان.– بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.– ج٥، ص ٢١٨). وهي بلدة تتبع لمنطقة التل، وتقع ضمن سلسلة جبال القلمون في محافظة ريف دمشق.

(٣) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٦.

- **القسم الثالث: فارتيما في دمشق:**

ويأتي المسار الثالث من رحلته في هذا السِفْر بوصوله إلى دمشق ووصفه لها. وهو الوصف الأوسع ضمن هذه الرحلة، عنونه بدمشق. وقد أمضى دي فارتيما زمنًا في دمشق يتعلّم اللغة العربية، ويدرس طباع أهلها، ويسير معهم على ضفاف «بردى»، كما فعل ابن بطوطة قبله بقرنين. وفي ختام إقامته في دمشق تعرَّف على «أمير الحج»، الذي وافق له على السفر مع القافلة تحت اسم «يونس» الجندي الهارب إلى خدمة المماليك، لتبدأ رحلته إلى الجزيرة العربية، التي زار من خلالها المدينة المنورة ومكة المكرمة، ليُعدَّ من أوائل من وطأت قدماه المدينتين المقدستين.(١)

وابتدأ وصفه لدمشق بانبهار حين قال: «ليس من الممكن – حقيقة – أن أصف جمال دمشق وامتيازها. تلك المدينة التي مكثت فيها بضع أشهر؛ لأتعلم اللغة العربية (لغة المسلمين Moorich language)، لأن سكان هذه المدينة من العرب Moors والمماليك والمسيحيين اليونانيين. وفي هذا الصدد يجب أن أعطي نبذة عن حاكم دمشق التابع لسلطان القاهرة».(٢)

ثمَّ أخذ يصف قلعتها ونسبتها بحديث مصدره (يقال) حين قال: «ويجب أن تعرف أنه في مدينة دمشق هذه توجد قلعة قوية جدًا وجميلة يقال إنَّ مملوكا فلورنسيا (من فلورنسا) هو بانيها على نفقته الخاصة. وقد كان حاكمًا لهذه المدينة (دمشق) وأكثر من هذا. ففي كل زاوية من زوايا هذه القلعة يتجلى الفن الفلورنسي منحوتًا في الرخام. وتحيط بهذه القلعة خنادق عريضة. وللقلعة برجان، وجسران يمكن سحبهما. وتوجد بها مدفعية ممتازة ودائمة. ويعسكر بها بشكل دائم خمسون مملوكًا [تابعين] للسلطان المملوكي الكبير – ويقيمون مع حاكمها (حاكم القلعة). وكان هذا الفلورنسي

(١) سمير عطا الله. قافلة الحبر.– ص ٥٩.
(٢) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٦.

مملوكًا للسلطان الكبير. ويقال إنَّ هذا السلطان الكبير قد دُسَّ له السم وقت وجود هذا المملوك الفلورنسي، وإن أحدًا لم يستطع علاجه من آثار السم إلى أن هيأ الله له الشفاء على يد مملوكه الفلورنسي المشار إليه، فكافأه السلطان بأن ولاه حكم دمشق، فشيد فيها هذه القلعة. وبعد ذلك توفي هذا المملوك الفلورنسي في دمشق فبكاه الناس ووقروه توقيرًا شديدًا باعتباره وليًا من أولياء الله الصالحين أوتي علمًا وافرًا. ومنذ ذلك الوقت كانت هه القلعة دائمًا في قبضة السلطان».[١]

ويواصل حديثه عن طبيعة الحكم في دمشق في زمن مروره بها، مع ملاحظة أنه ينقل عن سماع؛ فيقول: «فعندما ينجح أحد السلاطين المماليك في الوصول للسلطنة يأتيه أحد أمرائه ليقول له: "سيدي لقد خدمتك كعبد لك ردحًا طويلاً من الزمن، فأعطني دمشق، وسوف أقدم لك سيدي مائة ألف أو مائتي ألف أشرفي[٢]

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٦–٢٧. ولا أعلم أيّ حاكم يقصد في نسبة القلعة إليه؛ فقلعة دمشق تُنسب لتاج الدين تتش بن ملكشاه دمشق وملكها سنة ٤٧١هـ (١١٧٩م) بنى بها قلعة حصينة جعلها دار إمارة له وسكنها وبنى لولده رضوان دارًا بالقلعة تعرف بدار رضوان.( ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، جـ٢ ، ق١ (قسم دمشق) نشر وتحقيق: سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م)، ص٣٧. ومن هذا المنطلق وعطفًا على هذه المعلومة عن القلعة وغيرها كثير مما ورد في أسفار رحلاته، فأنني لم أجد لها أصلاً.

(٢) الأشرفي هو عملة ذهبية تُنسب للسلطان المملوكي الأشرف برسباي، أمر بضربها عوضًا عن الدينار المشخّص (الإفرنتي) سنة ٨٢٩هـ (١٣٢٥م)، تزن (٣.٤٥غرام) متساوية في الحجم مع الإفرنتي. ومنذ ذلك الحين جرى التعامل بها في سائر أمصار الدولة الإسلامية حتى صار هو النقد الرائج والمطلوب في المعاملات. (ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي.– ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ تحقيق جمال محمد محرر وفهيم محمد شلتوت.– القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.– ١٣٩١هـ/١٩٧١م.– ج١٤: ٢٨٣–٢٨٤).

ذهبًا teraphim of gold ". عندئذ يمنحه سيده السلطان هذا الشرف. ولكن يجب عليك أن تعرف أنه إذا لم يرسل حاكم دمشق ٢٥،٠٠٠ أشرفي ذهبًا في غضون عامين فإنه – أي السلطان – يسعى لقتله بالسلاح أو بأي طريقة أخرى. أما إذا قدَّم للسلطان المبلغ الذي ذكرناه فإنه يبقى في الحكم. ويوجد دائمًا مع حاكم دمشق عشرة حكام فرعيون أو اثنا عشر lords & barons. فعندما يريد السلطان مائتي ألف أو ثلاثمائة ألف أشرفي ذهبًا من حاكم دمشق أو من تجارها – الذين لا يلقون منه معاملة عادلة، وإنما يوقع الفتن بينهم ويعرضهم للسلب والاغتيال. فالمسلمون بشكل عام يعيشون تحت حكم المماليك كما يعيش الحمل في ظل الذئب Like the Lamp under the Wolf – فإنه – أي سلطان – يرسل خطابين لأهل القلعة، يذكر في أحد الخطابين – ببساطة – أن يجمع في القلعة الأمراء أو التجار. وعندما يجتمعون يبدأ حاكم القلعة في قراءة الخطاب الثاني. ويقوم بتنفيذ الأوامر الواردة به فورًا، سواء كانت هذه الأوامر تقضي بشر أو تقضي بخير. وبهذه الطريقة يجمع حاكم القلعة ما يراد من المال. وفي بعض الأحايين يكون حاكم دمشق قويا بدرجة كافيه تجعله لا يذهب للقلعة (لا يطيع الأمر بالتوجه للقلعة). وإذا ما أحسَّ الأمراء والتجار barons & merchants بالخطر، ركبوا خيولهم، وولوا ووجوههم هاربين الى تركيا (آسيا الصغرى). إنني لن أتحدث أكثر من هذا عن ذلك الموضوع، إلا إنه بقي أن أقول إن الرجال المنوط بهم حراسة هذه القلعة والمقيمين في أبراجها الأربعة الضخام – يكونون دائمًا يقظين ويراقبون، ولا يصدر عنهم أي صياح أثناء الليل، وإنما لكلّ منهم طبلة a

drum على هيئة نصف صندوق، يدق عليها بعصا دقا شديدًا، ويقوم الآخرون بالإجابة على دقه بدق مماثل. فإذا ما تأخر أحدهم في الرد بمقدار ما يستغرق الدق For the space of paternoster سجن لمدة عام».[١]

ولا أعلم لمثل هذه الروايات أصلاً، ولم أقف عليها وعلى ما هي بشاكلتها في مصادر العصر، ولعلَّ هذا من مصادره التي أكثر من النقل عنها وأسندها بقوله: (يقال ويقولون).

ثمَّ يواصل دي فارتيما حديثه عن دمشق بمشاهدات وانطباعات عن مجتمع دمشق وغلاتها وصناعاتها ومنازل أهلها. وهي انطباعات لا تخلو من المبالغة والتعميم، فيقول: «الآن وقد رأينا ما يتعلق بحكام دمشق لا بد أن أذكر بعض الأمور المتعلقة بهذه المدينة العامرة بالسكان والثرية. إنه من المحال أن نتصور روعة الصناعات وأناقتها هنا.

وفي دمشق تجد وفرة هائلة في الغلال واللحوم، والمنطقة كلها (قد يقصد الشام) زاخرة بالفاكهة التي لم أر مثيلاً من قبل خاصة العنب الطازج، المتوفر في كل المواسم. وسأذكر الفاكهة الطيبة والفاكهة الرديئة التي تنمو هنا. فالرمان والسفرجل من الأنواع الطيبة، واللوز والزيتون ذو الحب الكبير في غاية الروعة. وتنمو هنا الورود الحمراء رائعة الجمال والتي لم يسبق أن رأيت لروعتها مثيلا. ويوجد هنا أيضًا تفاح وخوخ وكمثرى، إلا إن مذاقها سيء جدًا، ويرجع ذلك إلى أنَّ دمشق تكثر فيها المياه. فالقنوات تجري خلال المدينة. وغالب مساكنها بها نوافير جميلة من الفيسفساء Mosaic work. والمنازل الدمشقية قذرة من الخارج، إلا إنها جميلة جدًا من الداخل، كما إنها (من الداخل أيضًا) مزينة بأعمال رائعة من المرمر والرخام السماقي marble & porphyry».[٢]

---

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص ٢٨ –٢٩.

وهنا تتكرّر إطلاقات فارتيما غير اللائقة عن بعض انطباعاته بما يمثّل رؤيته التي لا يمكن أن تصل إلى أكثر من كونها انطباعات بدت لمن شاهدها ضمن مروره السريع بالمدينة.

بعد هذا ينتقل فارتيما إلى وصف الجامع الأموي بدمشق بقوله: «وفي دمشق مساجد كثيرة. وأحد هذه المساجد – هو المسجد الجامع أو المسجد الرئيس، تبلغ مساحته مساحة كنيسة القديس بطرس في روما St. peter's at Rome. وصحن هذا المسجد غير مسقوف، إلا أن الأروقة المحيطة بالصحن مسقوفة. ويقال إنهم يحتفظون هنا برفات القديس زكريا Zachariah النبي. وأنهم يوقرونه توقيرًا شديدًا. ولهذا المسجد أربعة أبواب رئيسة من المعدن. كما يضم عديدًا من النافورات (الفسقيات) .fountains. ومرة أخرى نرى أين توجد أضرحة (أو رفات) القديسين المسيحين التي لا يزال يوجد عليها كثير من أعمال الفسيفساء».[١]

وينتقل بوصفه لبعض مواضع النصارى وأضرحتهم بدمشق بإسلوبه المعهود الذي تغلب عليه العاطفة والأسطورة والمبالغة وبعبارات (يقال ويقولون)، وذلك بما نصه: «ومرة أخرى رأيت الموضع الذي يقال إنَّ المسيح عليه السلام قال فيه للقديس بولس saint Paul ما نصه: "saute saule. Cur me persequeries". إنهم يدفنون هناك كل المسيحيين الذين وافتهم منيتهم في المدينة المذكورة. وثمَّة نصب (ضريح) في سور دمشق يقال إنَّ القديس بوليس كان محبوسًا به. وقد أعاد المسلمون بناءه مرات عددًا، لكنهم كانوا يجدونه إذا ما أشرق الصباح مهدمًا. فالملاك حطمه عندما كان يسحب القديس بوليس ليخرجه من محبسه. وقد رأيت أيضًا المنزل الذي ذبح فيه قابيل أخاه هابيل (كما يقولون)، ويبعد ميلاً عن المدينة (دمشق) في الجانب المقابل لها عند سفح تل في وادٍ عميق جدًا».[٢]

---

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص٢٩.

(٢) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص٢٩. وهذه حكايات شعبية وأساطير مسهبة في كثير من المصادر.

وهذا نمط من أنماط انطباعاته التي تغلب عليها الأسطورة والمبالغة غير المعتمدة على حقائق ثابتة، ومصدره في ذلك (يقال ويقولون)، وهذا من المآخذ المتكررة على رحلته.

بعد ذلك يُخصّص جانبًا من حديثه عن أوضاع المماليك، وما يتمتعون به من امتيازات في دمشق بدأه بقوله: «المماليك هم أساسهم مسيحيون تركوا المسيحيَّة. كان السلطان قد اشتراهم. ومن المؤكد أن وقت هؤلاء المماليك لا يضيع هدرًا، فهم يتدربون دائمًا، إما على سلاح وإما على فن الكتابة وتحصيل العلم؛ وذلك بغيه تحقيق الامتياز في كلا المجالين. ويجب أن تعلم أنَّ كل مملوك، صغر أم كبر، يتقاضى ستة أشرفيات Six Saraphi كل شهر، بالإضافة إلى نفقاته ونفقات حصانه ونفقات أسرته. إلا إنَّ ما يُصرف له يزيد في حالة انضمامه إلى تجريدة عسكرية ذاهبة للحرب».(١)

وهذا تشخيص قريب من الواقع لحال المماليك وامتيازاتهم في دمشق زمن رحلته. وليس فيه غرابة، إلا إنَّ مما يُسجّل ضمن شطحات دي فارتيما في حديثه عن مجتمع المماليك في دمشق ما أورد نصه هنا مع تحفظي في قبول روايته، وذلك بقوله: «وعندما يذهب المماليك إلى المدينة يكونون دائمًا في صحبة بعضهم البعض، أي في مجموعات من ثلاثة إلى اثنتين مخافة أن يتعرضوا للخزي disgrace إن كانوا فرادى. فإن حدث أن التقوا بفتاتين أو ثلاث، انتهزوا هذه الفرصة واهتبلوها. وإذا لم يلتقوا بهن كمنوا لهن في أماكن مخصوصة كالخانات الكبيرة. فإذا مرت الفتيات أو النسوة أمام الباب أمسك كُلٌّ مملوك بواحدة منهنَّ من يدها وسحبها للداخل، ثم يأتيها كيف شاء. إلا إنَّ الفتاة تقاوم إن أراد المملوك أن يعرف من هي (أن يرى وجهها)؛ ذلك لأن كل النساء منقبات هنا. ولذا فهن يعرفننا إلا إننا لا نعرفهن. ويقول المملوك لمن همَّ بها إنه يريد أن يعرف من هي وأن يرى وجهها، وعندئذ تقول له المهموم بها: (أخي، ألا يكفي أن تفعل معي ما تريد وأن تكتم

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص٣٠.

رغبتك في معرفة من أنا؟ ثم تستعطفه كثيرًا كي يتركها لتذهب لشأنها (بعد أن يكون قد أتاها). وفي بعض الأحيان يظن المماليك أنهم قد اقتنصوا ابنة الحاكم وأنهم سينعمون بمضاجعتها، بينما يكونون في حقيقة الأمر قد اقتنصوا زوجاتهم؛ (نظرًا لأن كل النسوة منقبات). وقد حدث ذلك بينما كنت في دمشق. إنَّ النسوة في دمشق يجئن ويرحن، وقد ارتدين أثوابًا حريرية جميلة، فوقها عباءات صوفيه بيضاء ورقيقة ولامعة كأنها حرير. كما إنهن جميعًا يلبسن صنادل Buskins بيضا أو أحذية حمراء أو أرجوانية، ويضعن حليًا كثيرات حول رؤوسهن ومعاصمهن وفي آذانهن. وعنما تتزوج الواحدة منهن – ولا يكون ذلك إلا برغبتهن ومشيئتهن – فإنها لا ترغب في البقاء مع زوجها مدة طويلة، لذا فهي تذهب للقاضي طالبة الطلاق. وبعد أن يتم لها ما تشاء تتزوج بعلاً آخر، ويتزوج زوجها السابق بامرأة أخرى. ورغم أنهم يقولون المسلم يتزوج خمس نسوة أو ستًا. إلا إنني شخصيًا لم أر مسلمًا في هذه المناطق قد تزوج أكثر من امرأتين أو ثلاث على الأكثر».[١]

وهنا توكيدٌ على أنَّ ما لفت نظره في هذا الأمر هو كون الطلاق لديهم في أوروبا كان محرمًا، وخاصَّة لدى طائفة الكاثوليك منهم. مع العلم أنَّ قوله إنَّ المسلم يتزوج خمسًا أو ستًا من النساء هو حديثٌ فيه مغالطة، فالشرع لا يبيح للمسلم الزواج بأكثر من أربع. وهنا تظهر هشاشة خلفيته الدينية.

وضمن حديثه عن بعض المظاهر الاجتماعية في المأكل والمشرب وملابس الرجال بدمشق يذكر دي فارتيما ما نصه: «ويأكل المسلمون في غالبهم في الطرقات، حيث تباع الملابس. فهم يطبخون طعامهم على مرأى من الناس، ويأكلونه وهم جلوس في الطريق. ويوجد هنا خيل بأعداد كبيرة جدًا. بالإضافة للجمال والجواميس والأغنام والماعز. وفي دمشق جبن طازج وطيب بوفرة. وإذا أردت أن تشتري حليبًا فثمة أربعون وخمسون من الماعز يمر بها راعيها عبر طرقات المدينة كل صباح (ولهذه الماعز آذان طويلة يبلغ طول الأذن منها

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص٣٠–٣١.

ما يزيد على الشبر). ويقوم الراعي بإحضار بعض الماعز إلى غرفتك حتى لو كنت تسكن في الطابق الثالث، ثم يقوم بحلبها في حضورك – وفقا للكمية التي تريدها – في إناء معدني جميل. ويوجد هنا الكثير من الماعز المحلوبة. وتباع هنا أيضًا كميات كبيرة من الكمأة (الفقع)، ففي بعض الأحيان يصل إلى هنا خمسة وعشرون أو ثلاثون جملاً محملة بها. وسرعان ما تنفد الكمية في غضون ثلاثة أيام أو أربعة. وترد هذه الكمأة من أرمينيا وآسيا الصغرى (تركيا)».[١]

ثم يختم حديثه بوصف لباس المسلمين في دمشق، ومكانة المماليك فيها، فيقول: «ويسير المسلمون وهم يرتدون عباءات طويلة وواسعة دون أحزمة من الحرير أو القماش. ويرتدي غالبهم سراويل صوفية وأحذية بيضًا. وعندما يلتقي أحد المسلمين (يقصد من أهل البلاد) بأحد المماليك حتى لو كان (أي هذا المسلم) تاجرًا مرموقًا ذا مكانة. فلا بد له أن يظهر الاحترام الفائق للمملوك، ولا بد أن يتنحى ليوسع له الطريق، ولا بد أن يتخلى عن مكانه له، وإذا لم يفعل ذلك ضُرب بالعصا».[٢] وهو هنا يؤكد صيغ المبالغة في وصف انطباعاته للوهلة الأولى باعتبارها حقائق واقعة تستحق لفت النظر.

ثمَّ عاد ليصف ثروات نصارى دمشق، ويشتكى من سوء معاملتهم بقوله: «ويمتلك المسيحيون هنا مخازن ومحلات كثيرة غاصَّة بالملابس والحرير والساتان والمخمل والأواني النحاسية وكل البضائع المطلوبة. ومع هذا فإنهم يلقون معاملة غير حسنة».[٣]

وهنا وقفة تؤكد ما نزع إليه فارتيما من محاولة تمجيد بني قومه وإظهارهم مظهر المظلومين الممتهنة حقوقهم كلما سنحت له الفرصة في سائر رحلته.

---

(١) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص٣١.

(٢) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص٣١–٣٢.

(٣) فارتيما، رحلات فارتيما.– ص٣١–٣٢.

## الخـــاتمـــة:

وبعد: وفي ختام هذه الورقة التي آمل من خلالها أنني تمكنت من إيضاح جانب مما كتبه هذا الرحالة الإيطالي (لودفيكو دي فارتيما)، في السِفْر الأول من رحلته المتصل بزيارته لمصر وبلاد الشام قبيل توجهه إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، حين ترك لنا وصفًا مكتوبًا لا يخلو من تخالط الانطباعات والمشاهدات والدلالات، التي يمكن تسجيلها في الآتي؛ لتكوّن أبرز نتائج هذه الورقة:

- الأهمية التي حظيت بها بلاد العرب والمسلمين منذ القدم لدى الغرب، مما دفع مجموعات من الرحَّالة والمستشرقين إلى الحرص على زيارتها والوقوف عليها، أو المرور بها أثناء رحلاتهم، على اختلاف في أهدافهم ودوافع رحلاتهم.
- أنه على الرغم من أهمية هذه الرحلة التي دوّنها الرحالة الإيطالي لودوفيكو دي فارتيما إلا إنَّ حياته ونسبته ونهايته يكتنفها الكثير من الغموض، فلا نكاد نعرف عن حياته سوى النزر اليسير، إذ إنَّ المعلومات المتوافرة عنه قليلة ونادرة، وخاصة عن بدايات حياته الأولى كالولادة والنشأة.
- أنَّ رحلة فارتيما مثَّلت بحق بداية استراتيجة جديدة في الفكر الاستعماري الغربي الذي كان أساسه يقوم على استخدام القوة العسكرية. وتميزت تلك الاستراتيجية بدراسة حال الشعوب العربية والإسلامية، والتغلغل في معرفة أحوالها، ليسهل الدخول إليها بسلمية وأمان. ونجاح هذه الرحلة بهذه الاستراتيجية الجديدة كان دافعًا لكثير من الأوربيين لتكرار التجربة.
- حَرِص فارتيما كغيره من الرحالة على تعلُّم اللغة العربية واللهجات المحلية؛ للاندماج أو التستُّر في البلدان العربية. ويدل هذا على دأبِه وتفانيه من أجل الوصول إلى مبتغاهم. وقد تمكن فارتيما من التكيّف مع اللغة العربية بسرعة مذهلة ليفهم ما يدور من حوله.

- لم يُعر فارتيما وصف الأماكن جغرافياً اهتمامًا يُذكر، بل لم يُعط وصفًا دقيقًا للأماكن التي مرّ بها في رحلته بصورة دقيقة ومنتظمة. إضافة إلى أنه لم يعر الوقت أو التاريخ الحركي لرحلته أي اهتمام.
- ارتباط هذه الرحلة .كغيرها الكثير من الرحلات الغربية .بالدوافع الاستعمارية والتنصيرية المكشوفة. ويمكن أن يوسم بعضها بأنه يندرج ضمن رحلات التحامُل المكشوف على الإسلام والمسلمين بتصويرهم بحال لا توافق حالهم؛ محاولة لنقدهم وانتقاصهم. ورحالتنا هذا لم ينفكّ عن خلفيته الدينية، بل كان انطباعه إفرازًا تامًا لمعتقده. فهو يُمجد بني قومه ومؤسساتهم الدينية في بلاد المسلمين. وهذا ظاهر بتركيزه على مواقع التعبّد عند النصارى، وكذا ذكره للكنائس ودور العبادة الأخرى كلما سنحت له الفرصة لذلك.
- رغم ما حوته هذه الرحلة وصاحبها من روح المغامرة واكتِشاف المجهول بالنسبة له إلا إنها لا تخلو من المبالغة، التي قد تكون مؤثرة فيمن كتبت له الرحلة. ولذلك لم يكن مفاجئا وجود غمز ولمز وشتم وكراهية وجهل بعقائد المسلمين، ومع ذلك فهو لا يتورّع عن ذكر بعض الخرافات والمبالغات والادعاءات.
- يُرجّح أن يكون فارتيما قد خدم في بلاده عسكريًا قبل رحلته هذه؛ لأنه كان يلفت نظره أي شيء له ارتباط بالجيش والعسكرية. يؤيّد هذا توسعه في الحديث عن قلعة دمشق ووصفه لها.
- في الواقع أنَّ رحلة فارتيما .مع أنها كانت تجسسيّة لصالح البرتغال على البلدان العربية والإسلامية وغيرها من بلاد الشرق، إلا إنَّها أمدتنا بمعلومات يمكن أن يُستأنس بشيء منها عن الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية عن مقصد هذه الورقة في سِفْرها الأول بما أكسبها قيمة علمية مناسبة. وهذا ينسحب على كثير من كتب الرحالة مما يدخل في حقل أدب الرحلات. حينما تمدنا بمعلومات

تاريخية وحضارية وآثارية عن بلادنا العربية والإسلامية التي زارها مجموعة من هؤلاء الرحالة، بما تستحقّ المزيد من القراءة والتأمل.

وبعد، وبعد: فإنني أرجو في ختام هذه الورقة أن أكون قد وفقت في تناول أبعاد موضوعها بما يستحقه، وأن تكون هذه الدراسة نواة لدراسات أوسع وأشمل بما يخدم أدب الرحلات الأجنبية الوافدة إلى بلادنا العربية بتجلية أهدافها وأبعادها ونواتجها.

والله هو الموفق والمعين، وصلّ اللهمّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

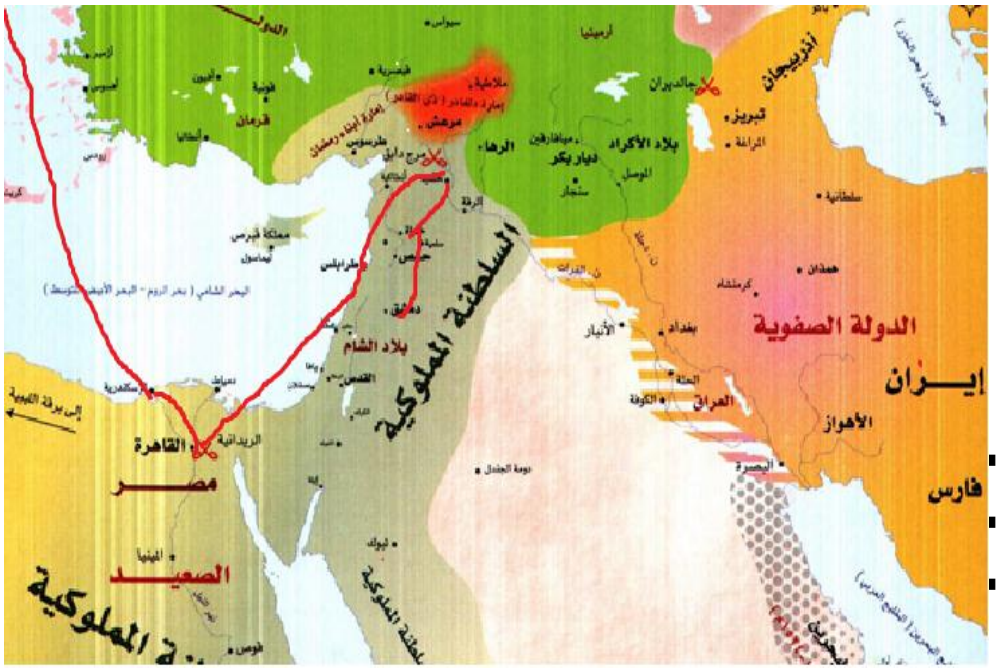


**خط سير رحلة فارتيما في سفره الأول من الإسكندرية لدمشق**

**من كتاب أطلس تاريخ العصر المملوكي لسامي المغلوث.**

- **مصادر الورقة ومراجعها:**


- إبـراهيم، عبـدالعزيز عبـدالغني. روايـات غربيـة عـن رحـلات فـي شـبه الجزيـرة العربية.– ٣. مج.– بيروت: دار الساقي، ط١، ٢٠١٣م.
- بدول، روبن. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية/ ترجمة. عبدالله آدم نصيف، د.ط، الرياض: مطبعة جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي.– ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ تحقيق جمال محمد محرر وفهيم محمد شلتوت.– القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.– ١٣٩١هـ(١٩٧١م).
- الحمـامي، عبـد الـرزاق بـن حبيـب. المدينـة المنـورة والرحالـة الأوربيـون: (دراسـة نمـاذج).– ط١، المدينـة المنـورة: سلسـلة إصـدارات كرسـي الملـك سـلمان بـن عبـد العزيز لدراسات تاريخ المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م).
- ذهني، إلهام. رؤية الرحالة الأوربيين لمصر بين النزعة الإنسانية والاستعمارية.– ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. (سلسلة التاريخ: الجانب الآخر: إعادة قراءة للتاريخ المصري).
- رالـي، أغسطس. مكـة المكرمـة فـي عيـون رحّالـة نصـارى/ نقلـه إلـى العربيـة حسـن سـعيد غزالـه، راجعـه وعلّـق عليـه محمـد محمـود السـرياني ومعـراج نـواب مـرزا.– الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، (١٤٣٠هـ).
- سـامي بـن عبـدالله المغلـوث. أطلـس تـاريخ العصـر المملـوكي.– الريـاض: مكتبـة العبيكان.– ١٤٣٣هـ.
- ابـن شـداد: الأعـلاق الخطيـرة فـي ذكـر أمـراء الشـام والجزيـرة. جـ٢ ، ق١ (قسـم دمشـق)/ نشـر وتحقيـق: سـامي الـدهان، دمشـق: المعهـد الفرنسـي للدراسـات العربية، ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م).

- الشيباني، محمد بن عبد الهادي. أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية (دراسة ضمن سجل ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية)، ط١، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.
- الشيخ، عبدالرحمن عبدالله. «لودوفيكو دي فارتيما، الحاج يونس المصري الرحالة الإيطالي والعميل البرتغالي ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ١٥٠٣م»، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع، الآداب (٢) ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).
- الطويلي، خالد. الحج والحجاج في كتب المستشرقين. نُشر في مجلة المعرفة العدد (١٦٥) في ١٤٢٩/١٢/٢٨هـ/ ٢٠٠٨/١٢/٢٦م. تمت الاستفادة في ٢٠١٩/٨/٢٧م.

http://www.almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=350&Model=M&SubModel=138&ID=171&ShowAll=On

- عطا الله، سمير. قافلة الحبر: الرحالة الغربيّون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢ – ١٩٥٠م).– ط١.– الرياض: مكتبة العبيكان.– ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- العقيقي، نجيب. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، ط٥، القاهرة: دار المعارف،٢٠٠٦م.
- فارتيما، لودوفيكو دي. رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)/ ترجمة وتعليق عبدالرحمن عبدالله الشيخ.– القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- الفارس، أسعد عيد. الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية، (دراسة ضمن سجل ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية)، ط١، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.
- كيرنان، ريغينالد هيو. كشف اللثام عن جزيرة العرب: قصة الترحال والكشوف في أنحاء الجزيرة/ ترجمة بشر العظمة، تحرير وتعليق: أحمد إيبش، ط١. . أبوظبي:

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، ١٤٣٣هـ (٢٠١٢م).

- المزيني، إبراهيم بن محمد بن حمد. «وصف مكة ومظاهر الحج في رحلة المستشرق الإيطالي لودفيكو دي فارتيما ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م». الملتقى العلمي الثامن عشر لأبحاث الحج والعمرة والزيارة لمعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة/ جامعة أم القرى – مكة المكرمة: ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

**https://drive.uqu.edu.sa/_/hajj/files/multaqa/143918.pdf**

- ياقوت، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م). معجم البلدان.- ٥ مج.- بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.